الصيد في شعر ابن الرومي

إعداد: سليمان سلامة إبراهيم سالم أ.د. جمال عبد الحميد زاهر

الملخص

البحث يتناول الصيد في شعر ابن الرومي، ومما سجّله شعره مغامراته فيه منفردًا ومع صحبة، وقد نوَّع ابن الرومي في رحلات صيده، ومغامرات طرده ما بين برّ وبحر، وقد اختلفت نظرته في بطل رحلة الصيد، فمرة يصفه بالبطولة كما في صيد الثور الوحشي، وتارة يسمه بالإجرام كما في وثوب عصابة على ديك مؤذن وأسره.

والمتأمل في شعر الصيد عند الشاعر يجده قد تعرَّض لأكثر من نموذج، والحديث عن الصيد في ذاته ليس فيه ابن الرومي

بدعًا من الشعراء، لكنه عالجه بأسلوب يميّزه عن غيره، فيه ابتكار وإبداع، عليه رسمه ووسمه، حتى إذا ما تذوّقته أنبأك عن

الشاعر دون مشقة أو عناء، والشاعر أسلوب يُعَدّ بمثابة البصمة التي لا تتكرر.

النموذج الأول وهو في صيد البحر يربط الشاعر بين قصة صيده وبين ذكر محاسن الممدوح، حيث يشير إلى استمتاعه بأكل "الشّبّوط"، وهو ضرب من السمك تجود به يد الممدوح على الشاعر، والشاعر يدعو له أن يهنأ بتلك الأكلة.

وفيها كذلك التماس العذر للممدوح، واعتذار الشاعر عن نفسه إذا أخلّ بشيء بينه وبين الممدوح غير متعمّد، ثم يشير

إلى أن الحظ قد يواتي الإنسان أحيانًا وقد يتخلف عنه أحيانًا أخرى.

النموذج الثاني يحكي قصّة ديك كان مؤذنًا، وثَبَتْ عليه عصابة فأسروه، وأكلوه، لكنهم في النهاية نالوا جزاء فعلتهم،

وأحداث القصة تكشف عن جريمتهم تلك، كأنّهم قد فعلوا محرّمًا؛ إذ كيف يذبحون مؤذنهم؟ بل الأمر استحق من

المشايخ أن يكتبوا بنصائح التوبات، وجريمتهم لم تمرّ هكذا، وإنّما عوجلوا بعقاب من الله (سبحانه). والشاعر لم يشارك

في هذا النموذج؛ لأنه في نظره جريمة، لكنه شارك مع صحبته في قصة الطير المهاجر التي ذكرها.

النموذج الثالث كان فيه الشاعر مشاهدًا مشاركًا بدليل تعبيره بصيغة الجمع التي توسل إليها بضمائر المتكلم، يحكي قصة ركب من الصيادين، شهد بنفسه جِيادهم، وهي تحمحم متجهة لصيد ثيران وحشية.

Summary

The research deals with hunting in the poetry of Ibn al-Rumi, and among the things recorded in his poetry are his adventures in it alone and with a group. Ibn al-Rumi diversified his hunting trips and hunting adventures between land and the sea. His view of the hero of the hunting trip differed. He sometimes describes him as heroism, as in hunting of the wild bull. He sometimes describes him as a crime, as in attacking gang on a muezzin's rooster and capturing him

Anyone contemplates the poet's hunting poetry, will find out that he has been exposed to more than one model.

Talking about hunting itself, Ibn al-Rumi is not an innovator among the poets, but he treated it in a way that distinguishes him from others. It contains innovation and creativity in drawing and describing. If you taste it, it will tell you about the poet without difficulty or effort, and The poet's style is considered a fingerprint that cannot be repeated.

The first model Is in sea fishing in which. the poet links the story of his catching fishing with mentioning the virtues of the person he is praising. He refers to his enjoyment of eating "carp", which is a type of fish that the hand of the person praised by the poet honors him with, and the poet prays for him to enjoy that food.

It also includes seeking an excuse for the person being praised, and the poet apologizing for his own behavior if he unintentionally

violated something between himself and the person being praised. Then he points out that luck may sometimes
favor a person sometimes and may be against him other times.
The second model Tells the story of a rooster which was a muezzin, and a gang attacked it, captured it, and ate it. In the end they received the penalty for their action, and the events of the story reveal their crime. as if they had committed a forbidden act. So how do they slaughter their muezzin؟
The matter deserved for the sheikhs to write advice for repentance, and their crime did not pass in this way, but rather they were hastened with punishment from God (Glory be to Him.(
The poet did not participate in this model because in his view it is a crime, but he participated with his companions in the story of the migratory bird that he mentioned.
The third model In which the poet was a participating spectator as evidenced by his expression in the plural form which he pleaded with the first person pronouns, telling the story of a group of hunters. He personally watched their horses as they charged, heading to hunt wild bulls.

مقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخاتم النّبيين، ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمّد –صلى الله عليه وسلّم– وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين... وبعد..

إنّ الحياة وما فيها من ظواهر لا تسير على وتيرة واحدة، فليس من سمتها الثبات، ولا من طبيعتها الاستقرار على وجه
واحد، لا يتغيّر، فهي في تغيّر دائم دائب، وإن كان تحوّل حالها ثمرة لها أسبابها ومقدّماتها، وقد لازم الحياة المادية بما فيها

ظواهر إنسانيّة، نشـأت في كنف المجتمع، ونمت تحت سمعه وبصره، كان للغة الفضل في تجليتها، عن طريق الشـعر الذي
كان باكورة الحياة البشرية، وهو ظاهرة فنّية عتيقة، صدقت في تصوير الوجدان، وكانت اللسان المعبّر عن الشعور، والقلم
الذي سجّل تاريخ حياة النّاس بشتّى مناحيها منذ بدايتها، حينما كانت الطبيعة بكرًا، إلى وقتنا هذا لم يُستغنَ عنه مع
تعدّد وسائل التأريخ وتطوّرها، وفن الشعر خضع مثل غيره من الفنون إلى التّطوّر والتّجديد عبر قافلة الزّمن.

إنّ القوانين التي أودعها الله –سبحانه وتعالى– الطبيعة، والنّواميس التي حكّمها في الكون، تقوم على تطوّر الأشياء
القابلة للتطوّر، حيث تبدأ بدايات أوّلية في صورة ليس فيها تعقيد، ثمّ ما تلبث أن تتدرّج شيئًا فشيئًا نحو الكمال، وتأخذ
في التّشعب والتّداخل، حتّى يكتمل البناء، هكذا كانت رحلة القصة في مسيرتها الطويلة، وقدحملت ملامح الحضـارة التي
عاصرتها، وقسمات الأمّة التي ترعرعت في أحضانها، واللغة التي ارتوت من معينها، فتطوّرت، ونمت، وأزهرت، عبر تاريخها
حتى أحصدت. وأي فن من الفنون قد يؤثّر ويتأثّر بنظيره في حضـارات أخرى، وهذا لا غضاضة فيه شـريطة أن يحتفظ بأصالته، فمن الخطل أن يتقوقع على نفسه، وينعزل عن بني جنسه؛ فإنّ في ذلك موته وانقراضه.

الأدب هو عبارة عن حزمة من التجارب الإنسـانيـة، على مستوى الفرد، أو المجتمع، أو الأمّة، أو الإنسانية، تمكّن الأديب –بموهبة وإبداع– من عرضها في أسلوب ماتع شائق، يدفع المتلقي برغبة ملحّة لتشرّب تلك التجارب، فتستقر في
قلبه ووجدانه، قبل أن ترسخ في ذهنه وعقله، فيضحى بها إنسانًا، يحس إحساسه، ويشعر شعوره، ويشـارك غيره فيما يحس به، ويشعر، فيرتقي ارتقاء الروح على الجسد، هذا شـأن الأدب الجيّد "هو الذي يجيز لأحدنا أن يسمي نفسـه إنسانًا، يشارك في الحياة الإنسانية، ليس مجـرّد حيوان...لا يعنيه إلا إحساسات بدنه...بل إنسانًا يعي تجاربه التي تمرّ به، ويفهم التجارب التي يمر بها أبناء جنسه، وتتفتّح عينه لكل ما في الطبيعة والحياة من جمال"(١).

والنّاظر في ديوان العرب وسجلّهم الشعري يجد أنّه قد احتوى على قصص المعارك والحروب، حيث أيام العرب التي فيها

وقائعهم، كما حكت تلك القصص فروسيّتهم وفخرهم على أقرانهم، وعلو كعبهم، وكم صوّر الشعراء البطولات الحربية، الفردية والجماعية عن طريق سرد وقائع الحروب والمعارك، وكان إذا ولد لقبيلة شاعر طارت به فرحًا، وطابت به نفسًا؛ لأنَّه الآلة الإعلامية المعبّرة عن حالها، الرافعة لشأوها، كما كان هناك قصص الصيد والطّرد، ومغامرات الشعراء في
الفيافي والقفار الموحشة، والقصص التي كانت تحكي لنا تجارب الشعراء، وما خاضوا من شدائد وأهوال.

والغالب على شعر القصة[٢] البساطة؛ إذ يتكوّن من حدث واحد مكثَّف، وهو يناسب لغة الشعر المتّصفة بالمجاز والإيجاز، في شكل الأقصوصة وأحيانًا ترد بعض الأحداث متسلسلة زمنيًّا، ليس فيها كسر لرتابتها باسترجاع، ولا باستباق، وقد يأتي الشعر القصصي غير مكتمل البناء الفني بمفهومه الحديث، فتغيب بعض عناصر القصة، "ولقد أعار الشعر الفنون الأدبية الأخرى كثيرًا من وسائله الشعرية، ومازال فن كالقصة القصيرة يدور في حمى الشعر"[٣].

وانطلاقًا من وجود ملامح السرد القصصي في شعرنا القديم اتجهت إلى دراسة القصة في شعر ابن الرومي، وخاصّة أنّه غزير الشعر، فديوانه من أكبر دواوين شعراء العرب ولتنوّع شعره؛ لأنَّه يحب الاستقصاء، فلم يترك شاردة ولا واردة إلا سجّلها، فكان من الطبيعي أن يرصد تلك الحياة الحافلة بالأحداث المزدحمة بصفات أنواع البشر كافّة من أصدقاء وأعداء وغيرهم، ومما سجّله شعره الصَّيد ومغامراته فيه منفردًا ومع صحبة، وقد نوَّع ابن الرومي في رحلات صيده،
ومغامرات طرده ما بين برّ وبحر، وقد اختلفت نظرته في بطل رحلة الصيد، فمرة يصفه بالبطولة كما في صيد الثور الوحشي، وتارة يسمه بالإجرام كما في وثوب عصابة على ديك مؤذن وأسره.

. الدراسات السابقة:

الرسائل العلمية التي اختصت شعر ابن الرومي بالدراسة كُثر منها:

- (تصوير شعر ابن الرومي لمجتمع القرن الثالث الهجري)[٤].
- (الصورة في هجائيات ابن الرومي)[٥].
- (الرثاء عند ابن الرومي دراسة فنية)[٦].

أما بالنسبة للمؤلفات التي درست ظاهرة السرد القصصي في الشعر العربي:

-(القصة في الشعر العربي إلى أوائل القرن الثاني الهجري) للدكتور: علي النجدي ناصف.

-(القصة والحكاية في الشعر العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي) للدكتورة: بشرى محمد الخطيب.

-(العناصر القصصية في الشعر الجاهلي) للدكتورة: مي يوسف خليف .

وكثير من الدراسات تناولت النزعة القصصية في الشعر أذكرها في المراجع.

. أسباب اختيار موضوع الدراسة وأهميته:

كشفت الدراسة عن مواطن الإبداع في حديث ابن الرومي عن الصيد، وتناوله كموضوع يُعَدّ تقليديًّا، لكنه صبغه

بأسلوب فيه جدّة وابتكار، وخلع عليه من ذوقه الرفيع ما جعله متفردًا عن غيره، وهي مزية في شعر ابن الرومي تضاف إلى سابقتها فاخترت هذا الموضوع للدراسة على أمل مني أن تبرز هذا الجانب الفني في شعر ابن الرومي.

– المنهج المتبع:

المنهج الوصفي وأدواته من تحليل وإحصاء إذا احتاج البحث لذلك.

ورد في قصيدة يمدح فيها أبا بشر المرثدي، يشير في أول بيت في القصيدة إلى مواقعة "الشّبّوط" وهو ضرب من السمك

تجود به يد الممدوح على الشاعر، والشاعر يدعو له أن يهنأ بتلك الأكلة وأن تمري عليه من غير أن تخلّف داء، يقول(٧):

هَنيئًا مَرِيئًا غيرَ داءٍ مُخامرٍ مُواقعةُ الشَّبّوطِ لِلمُتفرّدِ

ولا تَبْعُدَنْ مِنْ أَكْلةٍ سَبقَتْ بِها يَدا سابقٍ في حَلْبةِ المجدِ مُبْعِدِ

ولا كانَ في استبدادِهِ مُتعمِّدًا وما كنتُ في الإخلالِ بالمُتَعَمِّدِ

خَلا أنَّ هذا البَخت يَجْري مُبلِّدًا بِصاحبِهِ طَورًا وغيرَ مُبلِّدِ

هذه الأبيات تبدأ بالدعاء للممدوح، وفيها إشارة إلى قصة صيد سمك (الشبوط) الذي تسبق إليه يدا الممدوح، لتجود

به فلا يُستبعد منه إحسان، وفيها كذلك التماس العذر للممدوح، واعتذار الشاعر عن نفسه، إذا أخلّ بشيء بينه وبين

الممدوح غير متعمّد، ثم يشير إلى أن الحظ قد يواتي الإنسان أحيانًا وقد يتخلف عنه أحيانًا أخرى.

ثم يبين بعد ذلك جمال الشبوط متلبسًا ومتجرّدًا، والرغبة في الاستمتاع بأكله يقول(٨):

فَلا يَبْعدُ الشَّبّوطُ مِن مُتلبِّسٍ ظِهارتَهُ الحُسنى ومِن مُتجرّدِ

إذا نشَّ في سفّودهِ عندَ نُضْجِهِ وَأُخْرِجَ مِن سِربالِهِ المتوَرِّدِ

يقول: ما أجمل وألذّ سمك الشبوّط إذا وضع بعد سلخه وتقطيعه في سفّوده! ونضج، عندئذ يكون قد خرج من سرباله

المتورّد، حينها يكون جاهزًا لأن نتلذّذ بأكله، ونستمتع بطعمه، ثمّ يسترجع الشاعر، فيتحدث عن الشبوط قبل صيده،

يقول[٩]:

فَتِيٌّ رعى مَرعى بِدجلـــــةَ مُخصِبًـــا أَبَى أنْ يَـــراه رائـــدٌ غيـــرَ مُحْمِـــدِ
إلى أنْ أصابتْــــهُ مِنَ الدَّهـــــرِ نوبـةٌ وقَـدْ صـارَ أقصـى مُنْيَـةِ المتـجـــوّدِ
فَأصْدرَهُ الصّـيّـادُ عَـن خَـيـــــرِ مَوردٍ وأَوْرَدَهُ الشّـــوّاءُ أَخْــبـــــثَ مَـــوردِ
وجاءَ بِهِ الحمّالُ أَطْيَـــبَ مَطْعَـــــمٍ إلى الطّيِّبِ المِنفاقِ غيـــرِ المُصـــرِّدِ
ويا حبّــذا إمْعـانُنــــا فيه ناضِجًـا كـمــا جـــاءَ مِنْ تَـنّـــورِهِ المُتـوقِّـــدِ
وإنّي لَمشتــــاقٌ إلى عَـــــودِ مِثْلِـهِ وإنْ كـنـتُ أُبْـدي صفحـةَ المُـتجـلِّدِ

تحكي قصة سمك الشبوط عندما كان فتى يرعى في مرعى نهر دجلة الخصيب وكان حريصًا حذرًا، محتاطًا، حتى لا يراه

رائد، يتحسس مواطن الرعي، فتكون العاقبة غير حميدة، لكن لا يغني حذر من قدر، فقد يؤتي الحذر من مأمنه، لقد بقي

كذلك حتى أصابته نوبة من الدّهر، فأصدره الصياد عن خير مورد، وهو مرعى دجلة الذي كان يرعى فيه، وأورده الشّوّاء

الذي احترف مهنة الشّيّ أخبث موردٍ النار التي فيها هلاكه، فلمّا أن نضج جاء به الحمَّال وقد كان أطيب مطعم، إلى

الممدوح الجواد، ونعمًّا الطعم ناضجًا، وإني لمشتاق لمثل هذه الأكلة مرة أخرى، وإن كنت أظهر بصورة الصّابر المتجلّد.

مناسبة القصة للقصيدة واضحة، فالقصة ترتبط بأكل سمك الشبوّط، والذي جاد بهذه الأكلة الممدوح، وبطل القصة

سمك الشبوط، والشاعر الراوي المشارك، والممدوح، ومن الشخصيات الثانوية: الصياد والشوّاء، والحمّال، والمكان: مرعى

دجلة، والمنطقة التي يقطن فيها الممدوح، والزمان غير محدد، والحدث يدور حول اصطياد سمك "الشبوط" وإعداده للطعام.

وصيد السمك كصيد الديكة، وهو ما تحكيه قصّة ديك كان مؤذنًا، وثَبَتْ عليه عصابة فأسروه، وذبحوه، وطبخوه،

وأكلوه، لكنهم في النهاية نالوا جزاء فعلتهم، وأحداث القصة تكشف عن جريمتهم تلك، كأنّهم قد فعلوا محرّمًا؛ إذ كيف

يذبحون مؤذنهم؟

بل الأمر استحق من المشايخ أن يكتبوا بنصائح التوبات، وجريمتهم لم تمرّ هكذا، وإنّما عوجلوا بعقاب من الله (سبحانه)،

كما تكشف القصّة لوم تلك العصابة، يقول(١٠):

أَشْجتـــكَ مَنْــزلةٌ بِمَـــرجَـي راهـطٍ كلّا ولا دِمـــنٌ عَــفــتْ بِـــشــلاهِـــطِ

بَلْ مَعشـــرٌ وَعدَتْهُـــمُ فَجَـــراتُــهـم بِـمـغـابـطٍ فـإِذا هُــمُ بِـمـهــابِــطِ

ظلّـــوا وقَـــدْ أَســـروا المـــؤذّنَ بينَهُمْ وَكَـأنَّـمـا هَـزمـوا كَـتـائِـبَ نـاعـطِ

لم يحزنك منزلة بمرجى راهط، ولا بكاء على الدّمن والآثار الدّارسة التي عفت بشلاهط، بل المحزن المؤسف هذه الثلّة

من الناس التي ارتكبت هذه الفعلة وكانوا في حال طيبة مسرورين لكن بفعلتهم سقطوا من أعين الناس، فما قصتهم؟

وقوله: (أسروا المؤذن) يبين فداحة جريمتهم. وقوله: (وكأنما هزموا كتائب ناعط) يدل على فخرهم بما صنعوا. وماذا فعلوا

بعدما أسروه؟(١١)

وخَلَوْا بِشِلـــوِ ذَبـيـحِهِمْ فـرأيـتُهُـــمْ مِن نـــاتـــفٍ ريـــشًـــا وآخَـرَ مـــارِطِ

مُسْـتـعـمِـلـيــنَ أَكُفَّـهُـــمْ فـي أَمْـرِهِ بـبـــوادرٍ سبـــقتْ أنـــاةَ الـسَّـــامـــطِ

طَـبَـــخـــوهُ ثُمَّ أَتَـــوا بِهِ قَدْ أُبْـــرِمَـتْ أَوتـــارُهُ لـــمـــنـــادفٍ وبَـــرابِـــطِ

بعدما أسروه، ذبحوه، وخلوا به، كل منهم يعرف مهمته، منهم الناتف ريشه، ومنهم المارط، وقد استعملوا أيديهم في

أمره قبل أن يأخذه السامط لإنضاجه، ثم طبخوه، وأظهروه بهيئة جميلة(١٢):

مُتَجَمِّـــلًا لـدجاجِـــهِ مُـتَـجـلِّـــدًا كَـتَـجـلُّـــدِ المجلـودِ بـيـنَ ربـائـطِ

وَلَقَـــد رَمَتــهُ يَـــومَ ذلـكَ قِـــدْرُهُـــمْ بِـغُـطـامـطٍ مِـنْ غَـلـيـهـا وغُـطـامـطِ

حَمـــلـــوا عَليهـــا كُلَّ مـاءٍ عـنـدَهُـم وفُـــراتَ كُـــوفَـتِـهِـم ودِجـلـةَ واسـطِ

فظهر حاله حال المتجمل لدجاجه في نظافته وصورته، متجلّدًا، يُظهر قوة تحمّله وصبره ك (تجلّد المجلود بين ربائط)،

وقد رمته قدرهم يومئذ بماء غليانها، وحملوا لقدرهم الماء الذي ينضجه، وتأمل قوله: (كلّ ماء) يدلّ على كثرة الماء

التي حملوها، ويقويه قوله: (وفرات كوفتهم ودجلة واسط). لقد كان لهذا الديك منزلة عظيمة، يصعب معها نسيانه[١٣]:

واهًا لذاكَ الديكِ بينَ مَساقطٍ مِنهُ عَهِدناها، وبينَ مَلاقطِ
قَوّامَ أسْحارٍ مُؤذِّنَ حارةٍ سَفّادَ زوجاتٍ كميَّ مآقطِ
يَنْفي مَناعسَهُ بنفسٍ شَهْمةٍ ويَشاهدُ الهَيْجا بِجأْشٍ رابطِ

عجبًا لذلك الديك، ما الذي عهدوه منه؟ وماذا كان يفعل؟ كان قوّام أسحار، مؤذن حارة، وسفّاد زوجات وكان شجاعًا في ساحات القتال، ومادام أنه قوّام أسحار، ومؤذن، فقد يغلب عليه النُّعاس، لكنَّه يقاومه، وينفضه بقوة،

وإذا شاهد حربًا كان رابط الجأش غير خائف ولا مضطرب. [١٤]

وَثَبتْ عَليهِ عِصابةٌ كُوفيَّةٌ بِبوادرٍ مِنْ بَأسِها وفَوارطِ
مِنْ ناشيءٍ مَحْضِ الحُلاقِ وشَيْخَةٍ شَوهاءَ لائِطةٍ وشَيخٍ لائطِ
يَعدو الأصاغِرُ والأكابرُ خَلفَهُ عَدوَ الكِلابِ عَلى الشَّبوبِ النَّاشطِ
قَسطوا عَليهِ قُسُوطَ غامِطِ نِعْمةٍ والمؤْبقاتُ بِمَرصدٍ للغامِطِ
وَلَرُبّ مقسوطٍ عَليهِ بِغرّةٍ حَلّتْ بليَّتُه بِرأسِ القاسِطِ
ومِنَ الجَرائمِ ما يكونُ عِقابُهُ نَقْدًا فَكمْ نابٍ هُنالكَ ساقطِ

وثبت على هذا الديك عصابة كوفية بقوة وسرعة، كان منهم الناشيء صغير السن، والشيخ والشيخة (يعدو الأصاغر

والأكابر خلفه)، لقد ظلموه، وجاروا عليه جور غامط النعمة، ومَن غمط النعمة عقوبته تقف له بالمرصاد، ومن ظَلَمَ حلّ

ظلمُه على رأسه، ومن الجرائم ما يكون عقابه معجَّلًا كالظّلم، وكم مجرم أسقطه إجرامه سريعًا. [١٥]

أَكَلوهُ فانْتشرتْ لَهُ أسنانُهُمْ وتَهشّمتْ أقفاؤُهُمْ بِالحائطِ
مِنْ بينِ نابٍ إنَّما هُوَ بَيْرمٌ عِظمًا وبينَ ثَنيّةٍ كالشَّاحطِ
وَطَواحنٍ قَدْ خُرِّقَتْ جَنباتُها فكأَنَّ أنكَلَها سِلاحُ مُرابطِ
وَكأنّ وقعَ مشارطٍ مِنْ ريشِهِ في تِلْكُمُ الأحناكِ وَقْعُ مشارطِ

هذه الأبيات تبين جزاء العصابة الكوفية التي وثبت على الدّيك الأسير، فقد انتثرت أسنانهم لمّا أكلوه، وتهشَّمت

أقفاؤهم بالحائط، وسقطت أنيابهم وثنيّاتهم، وتخرّقت أضراسهم من جنباتها، وكأنَّ ريشه مشارط تعمل في أحناكهم. (١٦)

سَقيًا لِمنتَصِرٍ هُناكَ لِنفسِهِ يَفْري فَريَّ مُزايِلٍ ومُخالِطِ
لَقِيَ الأنامِلَ والمراضِعَ مُقدِما لَمْ يَنهزِمْ عَنها بِأجرٍ حابِطِ
وَغَدتْ تَصيحُ عِظامُهُ وعُروقُهُ لِيفيقَ ذو جَزعٍ عَليهِ فارِطِ
لا تَبكيَنَّ عَلى قَتادةِ خارِطٍ وَابْكِ الدِّماءَ عَلى بنانِ الخارِطِ

ثم دعا لمن انتصر لنفسه، لقد انتقم من كل من شارك في الجريمة، لقد لقى الديك الكبار والصغار مقدامًا شجاعًا لم

ينهزم بسهولة، حتى بعدما ذبحوه، أصبحت عظامه وعروقه تصيح، حتى يتنبَّه من جزع عليه، ثم أطلق بيتًا يجري مجرى

الحكمة فقال: لا تبكينّ على الشَّوك، وابكِ على بنان من أمسكه يقول: (١٧)

وَغَدتْ مشايُخُهُمْ وَقَدْ كَتبوا لنا بِنواصِحِ التَّوباتِ كُتْبَ شرائِطِ
أَكَلوا مُؤذَّنَهمْ فَأضْحَوا كُلُّهم قَد عوجِلوا بِعقابِ رَبٍّ ساخِطِ
يَتزحَّرونَ بِأَنفسٍ مَجهودةٍ تَبكي وتَندُرُ نَدْرةً في الغائِطِ

وبما أنهم ارتكبوا هذا الجرم، إذًا فهم في حاجة إلى توبة؛ لذا غدت مشايخهم تنصحهم بالتوبة من جريمتهم هذي، ثم

انتقل إلى بيان تعجيل عقوبتهم على فعلتهم، ومن العقوبة أنهم كانوا يتنفسون بصعوبة، مجهَدين غاية الإجهاد وكانوا

يبكون، كما أصيبوا باستطلاق في بطونهم وقوله: (وقد كتبوا لنا بنواصح التوبات ...) دليل على أنهم كانوا من الآمرين

بالمعروف والناهين عن المنكر، وأنهم قد قاموا بواجب النصح. وقوله: (أكلوا مؤذنهم): أشد في جرمهم مما لو قال: (أكلوا

ديكهم)، والمعنى: أنهم أكلوا مَن ينبههم للخير؛ وهذا أبلغ في بيان جرمهم، كما أنه أبلغ في بيان عقابهم. يقول: (١٨)

أَبْصارُهم نَحوَ السَّماءِ كَأنَّما بَصَروا بها تُطوى بِكَفَّي كاشِطِ
مِنْ باسِطٍ كفَّ الدّعاءِ وقابِضٍ كفَّ الدَّواءِ حِذارَ مَوتٍ ذاعِطِ

عسُرتْ عليهِ لظلمِهِ أَنفاسُهُ فكَأَنَّهُ في لحْدِ قبرٍ ضاغطِ
يَدعو بِنيّةِ قانطٍ لا شُفِّعتْ مِنْ دعوةٍ وُصلتْ بِنيَّةِ قانطِ

هذه الأبيات تبيّن البلاء الذي وقعت فيه هذه العصابة؛ بما فعلوه بمؤذنهم حتى أنهم توجّهوا بأبصارهم نحو السماء

يدعون ربهم أن يغفر لهم زلتهم، ويتوب عليهم من جريمتهم، لقد عسرت عليهم لظلمهم أنفاسهم، يدعون بنية قانط أن يكشف كربهم، وكيف يستجاب لدعوتهم؟ ثم يدعو عليهم، ويبيّن سبب الدعاء فيقول [١٩]:

بُعْدًا لَهمْ، بُعْدًا لَهُمْ، بُعدًا لهمْ مِنْ قابضٍ كَفًّا وآخَرَ باسطِ
سخِطوا مَودَّتَهُم وخانوا جارَهُم لا فارقَ الأوداجَ مُدْيَةُ ساحطِ

فهذا الدعاء شديد عليهم بالبعد والسُّحق؛ لذا كرّر (بعدًا لهم) ثلاث مرات، وبين سبب الدعاء؛ فقد خانوا جارهم،

وسخطوا مودتهم، بالاعتداء على المؤذن، على الرغم أنهم دفعوا ثمن ما فعلوه. يقول: [٢٠]

ديكٌ تَناوحَتِ الدُّيوكُ لِفقدِهِ ما زالَ شَيخُ عَشائرٍ وأراهطِ
وَمِنَ العجائبِ أنَّهم وَرِطوا بِهِ في المُهْلِكاتِ أشدَّ وَرطةِ وارطِ

لقد كان لهذا الديك أثر ليس في الناس فقط، لكن كان أثره شديدًا في الديوك، حيث تناوحت عليه، لما له من المكانة فقد كان شيخ عشائر وأراهط، ومن الأمور العجيبة أنهم لم ينتفعوا به أكثر من ورطتهم به في المهلكات، ولو كانوا يعلمون الغيب ما فكّروا في النّيل منه. لكنهم تعلموا درسًا قاسيًا لن ينسوه أبدًا، يبيّنه البيتان التاليان [٢١]:

وَمَتى رَأَوْا ديكًا وَلَوْ مِنْ فَرسخٍ أَبْصرتَهُم يَعدونَ عَدوَ مُبالطِ
لا مقبِلينَ إِليهِ لَكِنْ هُرَّبًا مِنهُ حِذارَ مَعاطبٍ ومَوارطِ

لقد أثرت فيهم عقوبة فعلتهم تأثيرًا عظيمًا، لدرجة أنهم لو رأوا ديكًا من مسافة فرسخ رأيتهم يهربون منه خوفًا من

الوقوع في المعاطب والمهالك، لقد أضحى الديك بمثابة المثير الشرطي لهم.

ثم تحدّث في نهاية القصيدة ونهاية القصة عن قصّته نفسه مع عصابة كوفية أخرى، ليحذّر من الكوفة ومن فيها، ويؤكد

فكرة أنك إذا سمعت خبرًا سيِّءا عن شخص أو عن بلد أو مجموعة من الناس من مصادر متعدّدة، فينبغي عليك أخذ الحذر؛ لأن هذا الخبر يقترب من الواقع والحقيقة إن لم يكن مطابقًا لهما، يقول [٢٢]:

جــاورْتُ فــي كُـوفــانَ شَــرَّ عِـصابةً   مِن صــامــتٍ عيًّــا وآخـــرَ لاغـــطِ
دَقّـوا فَـلَــو أَوْلَـجْـتَـهُـمْ لَـتَــوَلَّـجــوا   مِن دِقّـــةٍ في سَـــمِّ إِبْـــرةِ خـــائــطِ
دَلَـفــوا لِـجــارِهِــم بِـشَـــرٍّ لازِمٍ   وتَـجـانـفــوا عــنْــهُ بــخـيـــرٍ مائـطِ
أَلْفَيْتُهُـمْ مِــن شَــرٍّ قُنْـيَــةِ مُـقـتــنٍ   لـلـمقـتـنـيـــنَ وشـــرٍّ لُـقْـطــةٍ لاقــطِ
وَثبـوا عَـلــيّ سَفــاهــةً فـوسمتُـهُـم   وسْـــمَ المـسطّـعِ بعــدَ وسْـــمِ العــالـطِ
قَــومًـا يَـبـيـتُ الرُّشْـدُ فِـيهِمْ ضائعًا   والـغـــيُّ بـيـــنَ دَواهـــنٍ ومَـــواشــطِ

لقد جاور في كوفان شرّ عصابة في كل منهم عيب، ثم وصفهم وصفًا حسيًا آخر، فهم صغار الأجسام حتى أنك لو

أولجتهم في سم إبرة لولجوا، قدّموا لجارهم الشر، وحجبوا عنه الخير، فهم شر قنية، وشر لقطة، وثبوا عليه سفاهة وحمقًا،

فوسمهم في أعناقهم بالعرض والطول، هم قوم الرشد فيهم ضائع، والغي عندهم مقيم. وتأمّل قوله: (دقّوا) وكأنه ألمح بصغر

أجسامهم إلى صغر عقولهم، وهذا ما يؤيده آخر بيتين في القصيدة، ثم ذكر في البيت الثالث من المجموعة السابقة وصفًا

للجار هو شر وصف، وهو أن يقدّم الجار لجاره الشر، ويمنع عنه الخير، ووسمهم في البيت الرابع من المجموعة السابقة في

أعناقهم وسمين طولاً وعرضًا؛ ليُعرفوا، فلا يجاورهم أحد، ولا يؤاكلهم، ولا يشاربهم؛ لأنهم قوم يبيت الرشد فيهم ضائعًا

ويقبع الغي بينهم. ثم يختم القصيدة بوصفهم والتحذير منهم يقول [٢٣]:

ما شِئـتَ مِـنْ عَـقْلٍ ضَعـيـفٍ واهـنٍ   فــيـهِــمْ وَمِــنْ خَـبــلٍ شـديــدٍ ضـابـطِ
لَو أنَّ لؤمَ النّـاسِ قِـيـسَ بِـلـؤمِـهِـمْ   مـا كـانَ فـيـهِ قِـيـسَ نُـقـطـةِ ناقـطِ

فقد وصفهم بوصفين، وصفهم بضعف العقل، ولؤم الطبع، فكيف يقاس لؤم الناس بلؤمهم؟ ولو قيس ما بلغ نقطة من بحرهم، ولا ذرّة في سمائهم.

هذه القصة في أسر ديك وصيده، وطبخه وأكله، بطلها الديك، والعصابة الكوفية من الشخصيات الرئيسة، لكنها تأتي في المرتبة الثانية بعد الديك، فقد يكون دور إحدى الشخصيات الرئيسة أبرز وأظهر وأهم من الشخصيات الرئيسة لأخرى وكذلك في الشخصيات الثانوية، والشاعر راو مشاهد فقط، أو غير مشاهد، فربما حُكيت له تلك القصة فحكاها إلا في آخر القصيدة فهو راو مشارك، وزمان القصة غير معلوم لكن مكانها يظهر أنه في الكوفة أو قريب منها.

والحدث متنامٍ شيئًا فشيئًا حتى يصل إلى العقدة، ثم الحل، عندما أسروا الديك وذبحوه، ثـم نالوا عقابهم، ثـم ختم القصة بتجربة خاصة مرّ بها تبين شر العصابة الكوفية والحذر منهم، والشاعر الراوي فيها البطل لكن لها علاقة بالقصة الأولى إذ تؤكد فيها خطورة هؤلاء الناس، وأن طبعهم جُبل على اللؤم، وما أخطر الطبع الجِبِلّي!

وهذه قصيدة في الطّرد بدأها ابن الرومي بمقدمة يبكي فيها الشباب في عشرة أبيات، ثم شرع في الحديث عن رحلة صيد والعلاقة الرابطة بين المقدمة وبين موضوع القصيدة، أن الصيد كان في شباب الشاعر، فإذا ما ذكره ذكّره بالشباب فبكاه، أو أنَّه إذا ما رأى شابًّا ذكّره بما كان يصنع في شبابه؛ لذا تناسبا.

يبدأ قصته من البيت الحادي عشر في مقطع يتحدّث فيه عن خلّيه، يقول [٢٤]:

وَقَدْ أَغْتدي للطَّيـرِ والطَّيـرُ هُـجَّـعٌ ... وَلَوْ أَوْجَستْ مَغـدايَ ما بتنَ هُـجّـعـا

بِـخلَّـيـنِ تـمّـا بـي ثـلاثـةُ إخـوةٍ ... جُـسـومُـهُـم شَـتّـى وأرواحُـهُـم معًـا

بَني خَلّةٍ لَمْ يُفسدِ المحْلُ بيـنَـهُـمْ ... ولا طَمِعَ الواشونَ في ذلكَ مَطْـمَـعًـا

مُـطـيعـينَ أهـواءً تَـوافتْ عَـلى هـوى ... فَلَو أُرْسِلتْ كالنَّبـلِ لَـمْ تَعْـدُ مَـوقـعًـا

تُـجلّـى عـيـونُ النَّـاظـريـنَ فُـجـاءَةً ... لنا مَنظرًا مُرْوًى مِنَ الْحُسـنِ مُـشـبِـعًـا

إذا ما رَفَعْنا مُـقـبلـيـنَ لـمـجـلـسٍ ... طَلَعْـنـا جميـعًـا لا نُـغـادرُ مَـطـلـعًـا

كمنطـقـةِ الجـوزاءِ لاحتْ بِسُـحْـرَةٍ ... بِعقْـبِ غَـمـامٍ لائـحٍ ثُـمّ أقْشَـعـا

إذا مـا دَعـا مـنـهُ خـلـيـلٌ خـلـيـلَـهُ ... "بِأفـديـكَ" لـبّـاه مُـجيـبًـا فأسْـرعا

وإنْ هُـوَ نـاداهُ سُـحيْـرًا لِـدُلْـجَـةٍ ... تـنـبّـه نَـبْـهـانُ الـفـؤادِ سَـرِعْـرِعـا

كـأنّ لَـهُ في كُـلِّ عُـضـوٍ ومَـفْـصِـلٍ ... وجـارحـةٍ قلبًـا مْنَ الْـجـمـرِ أَصْـمعا

فـشمَّـرَ لـلإدلاجِ حَـتّـى كـأنَّـمـا ... تَـلُـفُّ بـهِ الأرواحُ سمعًا سَمَـعْـمعـا

كأنّي ما روّحْتُ صَحْـبـي عَـشـيَّـةً ... نُساجلُ مُخْـضَـرَّ الجـنـابـيْـنِ مُـتْـرعـا

الشاعر يذهب مبكرًا في الغداة قاصدًا الصيد، والطير لما تترك أعشاشها بعد، ولو كانت تعلم قصـدي صيدهـا ما بتن هجّعا، ولـم أذهب للصيد وحدي، وإنما ذهب معي خلان فكنَّا ثلاثة إخوة، جسومهم شـتى لكن أرواحهـم معًـا، لم يفسد بيننا شيء لا الحاجة، ولا طمع الواشين، أهواؤنا تلاقت، فقد وافق شن طبقة، فلو أُرسلت كالنبل لأصابت هدفًا واحدًا، وقد أظهرت عيون الناظرين لنا فجأة منظرًا في غاية الحسن، ومن شدة اتفاقنا إذا ما أقبلنا على مجلس طلعنا جميعًا، مثل الجوزاء إذا خرجت خرجت جميعًا، إذا دعا خليل خليله لبّاه مسرعًا، ولم يتخلف في أي وقت من الأوقات فهو شجاع ذكي، متأهب إذا دُعي، سخي إذا أعطي، وهي دعوة لحسن المؤاخاة، وواجباتها.

تأمل قوله (أغتدي) الدالة على التبكير لقضاء أي أمر من الأمور، فالبركة في البكور، وكلمة (أوجست) الدالة على أخذ الحذر والحيطة، فمجرد الهاجس الذي يقع في النفس تكون الحركة لاتقاء الخطر. وكلمة (خِلّين) الدالة على شدة المحبة؛ لذا قال: (وأرواحهم معًا)، وقوله: (لم يفسد المحل بينهم)؛ لأنَّ الإنسان وقتها يزداد طمعًا وحرصًا، وقوله: (ولا طمع الواشون في ذاك مطمعًا) أي: لم يظهر منهم ما يطمّع الواشين ولو هنة يسيرة، وقوله: (توافت على هوى) أي: اتفقوا واجتمعوا، وقوله: (فلو أُرْسلت كالنّبل لم تعد موقعًا): يدل على قوة تلاقيهم على هوى واحد، ويؤكده قوله: (طلعنا جميعًا لا نغادر مطلعًا)، وكذا قوله: (لبّاه مجيبًا فأسرعا)، وقوله: (تنبّه نبهان الفؤاد سرعرعا) يدل على شدة اليقظة، وقوة الذكاء، ويؤكده البيت الذي يليه: (كأنَّ له في كل عضو ومفصل...) والتشبيه مهما كانت بلاغته إلا أنه يدل على الامتياز بين عالمي الحقيقة والخيال، وهو ما يفسر عقلية ابن الرومي التي تميل إلى الدقة وبيان الحدود الفاصلة بين الأشياء،

وقوله: (شمّر) يدل على الاستعداد وإعداد العدّة (للإدلاج)؛ لأنه أمر لا يستهان به.

ثم أخذ في وصف بعض مظاهر الطبيعة، مستخدمًا أحرف العطف الدالة على السرد مثل الواو والفاء، وكذلك الأفعال

وهو ما يدل على ارتباط حدث بحدث(٢٥):

إذا رنّقَتْ شَمسُ الأصيلِ ونَفّضَتْ	**عَلى الأفُقِ الْغَرْبيِّ وَرْسًا مُذَعْذعا**
وودَّعَتِ الدُّنيا لِتقْضيَ نَحْبَها	**وشَوَّلَ باقي عمرِها فتشَعْشَعا**
ولاحظتِ النُّوّارَ وهْيَ مَريضةٌ	**وَقَدْ وضعتْ خدًّا إلى الأرضِ أَضْرعا**
كما لاحظتْ عُوّادَهُ عينُ مُدْنَفٍ	**تَوجّعَ مِن أوصابِهِ ما توجَّعا**
وظلَّتْ عيونُ النَّور تخضلُّ بالنَّدى	**كما اغْرَوْرَقتْ عَينُ الشَّجيِّ لِتَدمعا**
يُراعينَها صُورًا إِلَيْها رَوانيا	**وَيلحظْنَ أَلْحاظًا مِنَ الشَّجوِ خُشَّعا**
وبيَّنَ إغضاءُ الفراقِ عَليْهما	**كأنَّهما خِلّا صفاءٍ تَودّعا**
وقَدْ ضَرَبَتْ في خُضْرةِ الرَّوضِ صُفرةٌ	**مِنَ الشَّمسِ فاخضرَّ اخضرارًا مُشَعْشعا**
وأَذْكى نسيمَ الرَّوضِ ريعانُ ظلِّهِ	**وغنّى مُغنِّي الطيرِ فيهِ فسجّعا**
وغرّد رِبْعيُّ الذُّبابِ خِلالَهُ	**كما حَثْحَثَ النّشوانُ صَنْجًا مُشرَّعا**
فكانَتْ أرانينُ الذُّبابِ هُناكُمُ	**عَلى شدواتِ الطَّيرِ ضَرْبًا مُوقَّعا**
وفاضتْ أحاديثُ الفكاهاتِ بينَنا	**كأحسنِ ما فاضَ الحديثُ وأمْتعا**
كأنَّ جُفوني لَمْ تَبتْ ذاتَ ليلةٍ	**كَراها قَذاها لا تُلائمُ مَضْجعا**

تلك اللوحة المتكاملة تتحدث عن شمس الأصيل وقد آذنت بالمغيب، ونثرت على الأفق الغربي أشعتها الصفراء،

وودَّعت الدنيا؛ لتقضي نحبها، وأبصرت النّوّار وهي مريضة، وقد وضعت خدّها على الأرض حزنًا وإشفاقًا، مثلما تعلّقت عين المريض بمن يعوده، كأنما تشتكي إليهم ما أصابها من أوجاع. وبقيت عيون النَّور مبتلة بالنّدى كأنها عين من أثقله الهمّ، قد امتلأت بالدموع، ينظرن إليها من الشجو، وقد صبر الفراق عليهما صبره على خِلَّي صفاء ودّع كل منهما الآخر كما نشرت الشمس أشعتها الصفراء في خضرة الروض حتى أمست تلك الخضرة وقد مزجت بصفرة، فلما طَفَلَت الشمس، وجاد شعاعها بآخر أنفاسه، هجم الظل وهو في ريعانه، فساق نسيم الروض وأذكاه، ومن ثمّ غنّى مُغنِّي الطير، وردّد، وغرَّد ذباب الربيع خلاله على ألحان صنج النشوان المرتفع. فاتفقت أرانين الذباب وشدوات الطير حتى أضحت صوتًا لا نشاز فيه، هنالك فاضت أحاديث الفكاهات بيننا كأحسن ما فاض الحديث وأمتع، مما منع جفوني النوم من فرط المتعة.

قوله: (نفّضت) يوحي الفعل بآخر وقت الأصيل حيث إنها أرسلت آخر شعاع علق بجعبتها. وقوله: (مذعذعا) يوحي بالانتشار حيث طال الأفق الغربي كله، ويؤكده قوله في البيت الذي يليه: (فتشعشعا)، وقوله: (وودّعت الدنيا لتقضي نحبها) عبّر عن غروب الشمس بانقضاء الأجل، وهو يُذكَر – غالبًا– مع الموت مع أن الشمس ستشرق مرة أخرى، وربما قصد انقضاء أجل اليوم نفسه، وقوله: (لاحظت) يوحي بالترقّب والانتظار، وهو في نفسه ثقيل، يزيد في ثقله كونها مريضة وقوله: (وقد وضعت خدًّا إلى الأرض أضرعا) يوحي بالضعف الشديد والذّلة، كأنّه يمهد إلى موتها، وقوله: (كما لاحظت عوّاده عين مدنف) ترقّب المريض لمن يعوده؛ لأن في زيارته تخفيفًا لآلامه. قوله: (ما توجّعا) يوحي بشدة ما يعانيه من آلام قوله: (وظلّت عيون النَّور تخضلّ بالندى) يدلّ على أن النّدى بقي في عيون النَّور فترة، وأنَّه قابل لأن يتجدَّد.

وقوله: (يراعينها صُورًا إليها روانيا) يدل التعبير على طول فترة الترقّب والانتظار. وقوله: (وبيّن إغضاء الفراق عليهما) يدل على قوة الحميمية (كأنهما خلا صفاء)، وقوله: (وقد ضربت في خضرة الروض صفرة) أي: أن الصفرة أثرت في خضرة الروض تأثيرًا شديدًا، بقي فترة، لم يزُل سريعًا، وقوله: (وأذكى نسيم الروض ريعان ظلّه) يدل على أن الظلّ في أوج قوته، وهو السبب في حركة نسيم الروض وفوحان رائحته الطيبة. وقوله: (غنّى، غرّد، أرانين، شدوات) توحي بالسعادة والفرح.

وقوله: (فاضت) يوحي الفعل بالكثرة، فلا يفيض الشيء إلا إذا امتلأ. وقوله: (كأحسن ما فاض الحديث وأمتعا)

يدلّ على بلوغ أقصى الحسن والمتعة، فليس بعد ذلك ثمة نعيم. قوله: (كراها قذاها) في السياق يدل على عظيم المتعة التي
حرمت العين النوم، لدرجة أن قذى العين الذي يتكون بعد النوم هو الكرى نفسه، وتلك مفارقة.

كل المظاهر التي ذكرها في هذا الوصف توحي بالموت ومفارقة الحياة، فالشاعر يستعمل كائنات الطبيعة لإيصال فكرته،
ويسقط ما في نفسه عن الحياة والموت على الطبيعة وما فيها، فقد جعل العالم الخارجي معادلاً موضوعيًا لعالمه الداخلي
فأحسن وأجاد.

"إنّ ابن الرومي قد تناول موضوعات مستفادة من الموضوعات التقليدية المأثورة إلا أنه يعتريها بقلقه وريبته والتأويل القانط،
فيمد أبعادها، وينزع بها عن طبيعتها بما ينميه إليها من الأحوال والمضاعفات الإنسانية. فمشهد الصيد تحول لديه إلى
مشهد الصراع الأبدي الدائم والتنازع المرير بين قطبي العمر: الحياة والموت، مع هزيمة الحياة وانتصار الموت، وتصرّم النهار
وإقبال المساء والظلام وموت الأشياء، وتردّيها في حضنيهما"(٢٦)

ثم عاد ليحدثنا عن خلاّنه، ما كان أروع قصتهم! وهو معهم يقاسمهم مغامراتهم في رحلة الصيد حيث يقول(٢٧):

كأنّي ما نبّهتُ صَحبي لشأنِهِمْ إذا ما ابنُ آوى آخرَ الليلِ وعوعا
فثاروا إلى آلاتِهِمْ فتقلّدوا خَرائطَ حُمْرًا تَحملُ السّمَّ مُنقَعا
مُنمّقةٌ ما استودعَ القومُ مثلَها ودائعَهُم إلّا لِكي لا تُضَيَّعا
محمّلةٌ زادًا خفيفًا مناطُهُ مِنَ البندقِ الموزونِ قلَّ وأقْنعا
نكيرٌ لئنْ كانتْ ودائعُ مثلِها حقائبَ أمثالي ويَذهبْنَ ضُيّعا
علامَ إذًا تُوهي الحِمالةُ عاتقي وكانَ مَصونًا أن يُذالَ مُودِّعا

لقد نبّه صحبه عندما وعوع ابن آوى آخر الليل، فهرعوا إلى آلاتهم فتقلدوا أوعية حمراء من جلد يُحمل فيها الطعام
والسّهام، تعمل عمل الكنائن؛ لذا قال: (تحمل السُّمّ منقعا)، وهذه الخرائط منمّقة مزينة حسنة، لا يضيع ما استودع فيها،

تلك الخرائط محمّلة زادًا خفيفًا من البندق الموزون، وهو قليل مقنع، وإنّ من النّكارة أن تكون ودائع مثلها حقائب أمثالي
ثم تضيع؛ لأنني خير من يُستحفظ، إذًا فلن توهي الحمالة عاتقي، لأنّ من الإهانة أن يذال مودّع وقد كان مصونًا.

قوله: (ثاروا) توحي بالقوة والحركة، وكلمة (حمرًا) توحي بشدة الخطر المؤدي إلى الموت؛ لذا قال بعدها: (تحمل السم
منقعا) قوله: (قلّ وأقنعا) يعني أن القليل مع القناعة كافٍ، وصدّر البيت بـ (نكير)؛ لتكون أول ما يصكّ السمع فتكون
العناية بها أوفى، والاهتمام بها أتم، وتنكير (نكير) يوحي بالنَّكارة التي لا حدود لها، قوله: (ودائع مثلها.. حقائب أمثالي)
فـ (مثلها.. أمثالي) تدلان على المبالغة في الأمانة والاستحفاظ.

لقد ثاروا إلى آلاتهم، وتقلّدوا حقائبهم، وحملوا زادهم متأهبين لرحلة الصيد[٢٨]:

وما جشَمَتني الطَّيـــــرُ ما أنا جاشـــمٌ ... بأسبابِها إلّا لـيـــجْـــشُــــمنَ مُضْـلعـــا
فَلِلَّهِ عَينـا مَـن رآهُـــم وقَـــدْ غَـــدَوا ... مُـــزبِّـــينَ مَشهــــورًا مِـنَ الــزّيّ أرْوعـا
إذا نَبضـوا أوتارَهـم فتـــجـاوَبَـــتْ ... لها زفراتٌ تَصْــرعُ الطَّــيـــرَ خَـــوْلـعـا
كـأنّ دويَّ النَّحلِ أحْــرى دويِّـــهـــا ... إذا ما حفـيـــفُ الرّيـحِ أوْعـــاهُ مَسْمعـا
هُنالكَ تَغدو الطَّيرُ تَرتـادُ مَـصْـــــرعًــا ... وحُـسْبانُهــا المكــذوبُ يَـرتادُ مَـــرْتـعا

لكن هذه الرحلة لم يكن الإعداد لها والأخذ بأسبابها بالأمر الهيّن، ومع ذلك فإنك تعجب كل العجب إذا رأيت
أصحابي وقد غدوا يرتدون زي الصيد المشهور، ما أروعه! حتى إذا ما أنبضوا أوتارهم، وأغرقوا في قِسِيِّهم، أصدرت صوتًا
تصرع الطير فزعًا، وهذا الصوت يشبه دويّ النحل عندما تنقله الريح إلى المسامع فتعيه، عندئذ تغدو الطير إلى مصارعها،
وقد ظنّت كذبًا أنها ترتاد المراتع، فكانت أحمق من فراشة، ثم يتعجب مرة أخرى، فيقول [٢٩]:

وَلِلَّهِ عَيـنـا مَن رآهُـم إذا انْـتَـهَـــوا ... إلى موقفِ المَـرمى فـأقبلْـنَ نُـــزّعـــا
وقَـدْ وقَـفـوا للحائنـاتِ وشَـمّـــــروا ... لهـــنَّ إلى الأنصــافِ سُــوقًـــا وأذرُعـــا
وظلّوا كأنَّ الـرّيـحَ تَزفي عَـلـيـهِــــــمُ ... بهـــا قَـــزَعًــا مــلءَ الـسَّمـــاءِ مُـقـزّعـا

وقَدْ أغلقوا عِقْدَ الثلاثينَ منهُمُ بمجدولةِ الأقفاءِ جَدلاً مُوشّعا
وجدَّتْ قِسِيُّ القومِ في الطَّيرِ جِدَّها فظلَّتْ سجودًا للرُّماة ورُكّعا
هُنالكَ تَلْقى الطَّيرُ ما طيَّرتْ بِهِ عَلى كُلِّ شِعبٍ جامعٍ فتصدَّعا

ويكرر التعجب لكن من شيء آخر حيث يتعجب من انتهائهم إلى موقف المرمى، فعندما وصلوا أقبلت الطير نزَّعًا

مسرعات إلى حتفهنَّ، وقد وقف الرّماة مستعدين للرمي، وظلّوا كأنّ الرّيح تزفي عليهم قزعًا من الطّير ملْء السماء حتّى

أغلقوا عقد الثلاثين، وقد أصابت قسيّ القوم من الطّير ما أصابت، فظلّت سجودًا للرماة وركَّعًا، هناك تلقى الطير ما

أطارته على كل شِعب بسبب ما أصابها، فكانت عبرة لغيرها.

قوله: (وقفوا للحائنات) أي: قاصدين متعمّدين ويؤكده قوله بعدها (وشمّروا)، قوله: (الريح تزفي عليهم) يدل على الكثرة

وقوله: (وجدّت قسيّ القوم في الطير جدَّها) يدلّ على حجم الإصابة وخطورتها، قوله: (فظلّت سجودًا للرماة وركّعًا) يدلّ

على شدة التذلل، والخضوع، والاستسلام، وقد أعقبها الفراق لكل محب بسبب ما روّعها، يقول[٣٠]:

وتُعقَبُ بالبينِ الّذي برّحتْ بهِ لكلِّ مُحبٍّ كانَ منها مُروّعا
فظلَّ صحابي ناعمينَ ببؤسِها وظلَّتْ عَلى حوضِ المنيّةِ شُرّعا
فلَو أبصَرتْ عيناكَ يومًا مُقامَنا رأيتَ لهُ مِن حُلّةِ الطَّيرِ أَمْرعا
طرائحَ مِن سودٍ بيضٍ نواصعٍ تخالُ أديمَ الأرضِ منهُنَّ أبْقعا[٣١]
نُؤلِّفُ منها بينَ شَتّى وإنّما نُشتّتُ مِن أُلّافِها ما تَجمّعا
فكمْ ظاعنٍ منهُنّ مُزْمِعِ رحلةٍ قَصَرْنا نَواهُ دونَ ما كانَ أَزْمعا
وكمْ قادمٍ منهنَّ مُرتادِ مَنزلٍ أناخَ بهِ مِنّا منيخٌ فَجَعْجَعا

لقد تمتع أصحابي بما أصاب الطير من بُؤس، وقد وردت حوض المنية تعبّ منه، ولو أبصرت مقامنا بعدما فعلنا بالطير

لرأيته قد اكتسب من الطير حلة بهية، وسوف ترى طرائح من الطير سود وبيض، من كثرتها تحسب أن لون سطح الأرض

أبقع. وتأمل المفارقة في كونهم ألّفوا منها بين أنواع وأحجام وأشكال شتى في الوقت الذي فرّقوا وشتتوا بالصيد من أُلافها

ما تجمّع، وكثير منها كان راحلًا إلى مكان ربّما كان بعيدًا، لكنهم بالصيد قصروا نواه، وقربوا مكان نزوله، وكم قادم منهنّ مرتاد منزل أجبروه على النزول.

قوله: (برّحت به) يدل على شدة البين، وقوله: (وظلّت على حوض المنية شرّعا) دليل على أنها لا فكاك لها من الموت، ولا مفر. وقوله: (تخال أديم الأرض منهنّ أبقعا) يدل على كثرة ما اصطادوه.

"ومما لا شكّ فيه أن تجربة ابن الرومي أخذت بالاتساع والتكامل، فلم تعد الطير الصريعة تمثل طيرًا، بل الإنسان السامي

إلى غايته في رحاب الحياة، يكدّ في سبيلها، ويحلّق إليها، على أجنحته التوق والشوق، فإذا بسهام القدر المتربّصة به تصيبه

وتخلفه بلا حراك على أديم الحياة"[٣٢]

القصة تحكي أحداث رحلة صيد، شخصياتها وأبطالها الشاعر الراوي، وهو أحد المشاركين في القصة، وخليلاه، وقد

استخدم ابن الرومي في القصة أحرف المعاني الدالة على ترتيب الأحداث وتتابعها، وكان أكثر ذه الأحرف دورانًا في القصة حرفي (الواو والفاء)، كما استخدم أفعالًا تدل على القصّ منها: (أغتدي، رفعنا، طلعنا، ناداه، شمّر، غرّد، فاضت،...)، تدل على توالي الأحداث.

والزمان في القصة: الصبح، والليل، والسَّحَر، ووقت الأصيل. وأما المكان فقد كان في غابة مليئة بالأشجار، تكثر

فيها الطيور.

وقد طوّع الشاعر الصوت واللون والحركة في قصّته هذي؛ ليخدم فكرته، وقد اعتمد على الوصف أحيانًا في لغته الشعرية السردية، حيث توقف زمن الحكاية كما في أبياته التي بدأها بالحديث عن شمس الأصيل.

استطاع ابن الرومي أن يعكس ما في نفسه على شعره، وأن يعمّق تجربته الخاصة ونظرته للحياة والموت، ويوسع دائرتها حتى أضحت تجربة إنسانية عامة، محدداتها العالم الإنساني كله، أو إن شئت فقل عالم الكائنات الحية، ولا سيما النفس الإنسانية.

"وهكذا فإنّ تجربة ابن الرومي الوصفية قد تنطلق من حدود ضيقة، من الجزئيات والدقائق والأحداث، إلا أنها تأخذ في الانديا‌ح والتعاظم بذاتها حتى تغدو تجربة إنسانية عامة، حدودها الحياة والضمير" [٣٣]

وما زال ابن الرومي في الطَّرَدِ، يحكي قصة ركب من الصيادين، شهد بنفسه جِيادهم، وهي تحمحم متجهة لصيد ثيران

وحشية، والشاعر في هذه القصة ليس مشاهدًا فقط، بل هو مشارك، ودليل ذلك أنه استخدم ضمائر المتكلم للجمع

كما في قوله: (دُفعنا، دلفنا، رماحنا، لنا، رحنا،...) يقول[٣٤]:

ورَكْـــبٍ قنيـــصٍ قَد شهِدْتُ جيادَهم تُحَمْحِـمُ في ثيـرانِ وحشٍ تَـغَـمْـغَـمُ

مَهـا كالمَهـا إلّا جِبـالَ مُتونِـها وإلّا مَـكـانَ الـوَشْـمِ أو حيـثُ تُلْطَمُ

وإلّا مَـخَـطَّ الكُحْـلِ مِنْ كُلِّ مقلـةٍ وإلّا قُـرونًـا تَـدّري فـتَـزَنَّـمُ

وربّ ركب قنيص قل نظيرهم، قد شهدت جيادهم وهم ذاهبون للصيد، تحمحم جيادهم مصدرة صوتًا يُعرَف، ثم بدأ الشاعر في وصف المها التي خرجوا من أجل صيدها، وشبّهها بالمها من بني الإنسان، أي المرأة مع أن ألسنة الشعراء جرت في العادة في القديم والحديث على تشبيه المرأة بالمها، إلا في التشبيه المقلوب، إذا قصدوا به المبالغة.

"وبالرغم من ذلك فإن التشبيه خلال وصف ابن الرومي تطوّر تطورًا مهمًا، فبعد أن كان مقابلة بين مشهدين حسيين،

يشخصان على حدقة العين، أصبح مقابلة بين مشهد في الخارج وحالة في النفس"[٣٥].

ثم شرع في ذكر ما زادت به تلك المها عن المرأة، حيث ذكر أنَّ لها متونًا كالجبال، كما تختلف عنها في مكان الوشم من

اليد، أو حيث تُلطم من الوجه، وكذا المكان الذي يخط في الكحل من كل مقلة، وكذلك قرونها التي تحمي بها نفسها، ثم

تهجم فتقطّع به فريستها، ثم قال بعد ذلك ببيت[٣٦]:

دُفِعْـنـا إلـيْـهـا وَهْـيَ زُهْـرٌ كـأنّها خـلالَ أنـيـقِ الـنَّـوْرِ نُـورٌ مُـجسّـمُ

فما ذَرَّ قـرْنُ الـشـمـسِ حَـتّى رأيتُها تُـعصْـفـرُهـا مُـثْـعَـنْـجـراتٌ تَـهَـزَّمُ

قد دفعنا إليها دفعًا، كأنها جذبتنا إليها من روعة ما رأينا، فهي زهر كأنها نور مجسم بين النَّور الأنيق، حتى إذا ما أشرقت الشمس، وذرّ قرنها في أوّل النهار، رأيتها تصبغها بلون الورس من أشعتها الصفراء، وهي تجري مسرعة كالسيل المندفع من علو، تسمع لجريها صوتًا يشبه صوت الرعد.

البيت الأول من الأبيات الثلاثة السابقة يدلّ على خبرة الصيّادين بالحَسَن من المها من السيئ، ويبدو أنّها لم تكن رحلة الصيد الأولى، وقوله: (دُفعنا) ببناء الفعل للمفعول يبيّن شدّة جاذبية المها، لجمالها،

وأصالتها، كأنها من سلالة تُعرف بحسنها، وقوله: (فما ذرّ قرن الشمس حتّى رأيتها) ما يشير إلى حبّها للبكور، ورغبتها في الحركة فيه، فهي نشيطة تنفر من الكسل، وقوله: (مثعنجرات تهزم) أي: كثيرة، متتابعة في سرعة، ولما دُفعوا إليها، دلفوا لها مشمّرين، يقول[٣٧]:

دَلَفْنـــا لَها بِالسَّمْهَـــريّ فطالـعٌ إلى مَـــصـــرعٍ يَـرتــادُهُ ومُـحَــرْجَــمُ
وَقَدْ حاولــتْ مَنْجـــى فقالتْ رماحُنا لمُمْعِنِها: عـرِّج فَـهــذا المُـخَـيَّــمُ
فَلَـمْ يُنْجِهـا إِحْضارُها وَهْـوَ مُلْهَبٌ وَلا ذَبّ عـنـهـا اللُها وَهــو مُـتـأمُ

ظهرنا لها، ودنونا منها، ومعنا آلات الصيد، ومنها رماح صلبة، فطالع منها إلى مصرع يرتاده، والآخر قد جُمع ورُدّ

بعضه إلى بعض منتظرًا قضاءه، وقد حاولت أن تنجو بنفسها، لكنّ القدر سبقها، ومنعتها رماحنا، كأنّما قالت لمن جدَّ في الهرب منها: انزل هذا المكان ففيه المخيَّم، فلم ينجها عدوها المتواصل الذي لم ينقطع، ولا شفع لها بذل أقصى ما في وسعها؛ لتهرب.

قوله: (دلفنا) يدلّ على أخذ الحيطة والحذر، فقد اقتربوا منها ببطء شديد حتّى لا تنزعج، فتفوت فرصة صيدها، وقوله: (حاولت منجى) يعني: أنّها سلكت كل سبل النّجاة، لكنّها باءت بالفشل، والبيت الثالث من الأبيات السابقة أكّد فشلها في النّجاة، فقد أُسقط في يدها، وأُحيط بها، ثمّ بيّن أنّها لم تستسلم، وأنَّها صبورة مثابرة في الدّفاع عن نفسها يقول[٣٨]:

قُرونٌ لَهـا مِنْهـا حِـرابٌ قَرائـنٌ ولكنَّ خَصـمَ السَّمْهَـريّاتِ يُخصَـمُ
وَقَـدْ طـالَ ما ذادتْ بها غيـرَ أنَّهُ أُتيحَ لَها رَأْسٌ مِنَ الْكَيـدِ مِـصْـدَمُ
بحيثُ يَضـمُّ الثَّـورَ والعيـرَ مَرْتَعٌ يُراعيهـا فيـهِ الأصَـكُّ المُـصَـلَّمُ

لها قرون تشبه الحراب تستطيع أن تدافع بها عن نفسها، لكن الرّماح الصّلبة الحادّة لا يقف في وجهها مثل هذه القرون

وعلى الرّغم من أنّها دافعت عن نفسها بكل ما تملك إلا أنّ رأسًا صلبة مليئة بالكيد والمكر قد صدّتها وصدمتها، وقد ضمَّ الثور والعير مرتع واحد، يدبِّر أمورها فيه الضعيف العاجز المهان الذي لا يستطيع أن يدفع عنها شيئًا، فضلًا عن أن يدفع عن نفسه، ولم تكد تلتقط أنفاسها حتّى شُنَّت عليها غارة أنستها طعم الحياة، يقول[٣٩]:

وشُنَّت لهـا في آلِ أَخْـدَرَ غـارةٌ كما شُبَّ أُلْهـوبُ الحـريـقِ المُضـرَّمُ
تَنـادمَ فيهـا المـوتُ أحمـرَ قاتمًا قـريعَ المهـا والأخْـدَريُّ الـمكَـدَّمُ
نَديمـانِ مِنْ شَتَّى وكـأسٌ كَـريهةٌ أبـاهـا مِنَ الشُّـرَّاب إلا الـمُـجَشَّـمُ
فظـلَّ لنـا يـومٌ مِنَ اللهـوِ ممتِـعٌ وظـلَّ لـهـا يـومٌ مِنَ الشَّـرِ أَيْـومُ

وقد شُنّت على الثيرة الوحشيّة غارة من الأسود بلغ من شدّتها أنّها مثل ألهوب الحريق المضرّم، بل أشدّ من ذلك، فقد

بات فيها الموت نديمًا لقريع المها والحمر الوحشيّة التي أُصيبت في المعركة، لقد تجرَّعت كأس الموت الكريهة رغمًا عنها،

ويقصد بالأسود الصيادين والشاعر منهم، ثمّ يذكر مفارقة في البيت الرابع من تلك المجموعة، فقد تمتّعوا في ذلك اليوم

بالصيد أمّا الفريسة فكان يومها أيوم، فاليوم واحد لكنّ نتيجة أحداثه وأثرها متباينة.

قوله: (شُنَّت) يدلّ الفعل على أنَّ الإغارة كانت من كل ناحية. وقوله: (في آل أخدر) يدلّ حرف المعنى (في) على الظرفية المكانية، أي: على الإحاطة التّامّة. وقوله: (تنادم) المنادمة: الاجتماع على مجلس الشَّراب للشعور بالنَّشوة واللذة، وفي ذلك مفارقة، إذ كيف يكون الموت ممتعًا؟

القصة في القنص تتحدّث عن رحلة صيد، تبرز بطولة الشاعر الراوي المشارك، مع ركب من الصّيّادين قصدوا صيد

ثيران وحشيّة، يصوّر في رحلة الصّيد هذي صراعًا في معركة بين الصيادين وهذه الثيرة، وهي تحاول بقرونها التي تشبه الحراب أن تدافع عن نفسها، ولكنّ الصيادين استخدموا رماحًا صلبة حادّة (السّمهريّات) لا قِبَل للثور بها، فلما تمكنوا من الإحاطة بها، وشنّوا عليها غارة ملحاحًا، حاولت الاستناد إلى إمكاناتها من سرعة الهروب بعدما فشلت في الدّفاع

عن نفسها بما وُهِب لها من سلاح طبيعي، لكنها فشلت مرّة أخرى، فما كان منها إلا أن تجشَّمت الشّرب من كأس الموت الكريهة، فقضوا يومًا في متعة ولهو ناعمين ببؤسها.

الحدث سار رويدًا رويدًا، وتنامى شيئًا فشيئًا، حيث بدأ عندما أشار إلى ركبهم، ووصف جيادهم، ووصف ثيران الوحش والمها، ثمّ وصل إلى القمّة حيث العقدة، عندما شنّوا الغارة عليها، وأحاطوا بها، ثم انحدر الحدث إلى حيث النّهاية باصطيادها، وشربها من كئوس الموت.

وقد أحسن الشاعر الراوي إذ وظَّف الصوت واللون والحركة في إثبات واقعية القصة، وكأنّك ترى المشاهد أمام عينيك، فتتأثّر بها، بل كأنّك معهم في ميدان المعركة، ورحلة الصيد، تتحرّك بحركتهم، وتدلف بدلوفهم، وتهجم بهجومهم، وتشنّ

الغارة معهم فإذا حدث ذلك دلَّ على نجاح الشاعر في تمثيل مشاهد قصته، وبناء حبكتها، ورسم شخصياتها، واختيار

عنصري الزمان والمكان.

شخصيات القصة الشاعر الراوي وركب الصيادين هم أبطال القصة، والشخصيات الأخرى من الثيران الوحشية، والمها

تشارك الآدميين في دور البطولة، والمكان يُفهَم من أحداث القصة، ففي الغالب جرت أحداث هذه القصة في غابة أو
مكان يشبه الغابة، مما تعيش في مثله هذه الحيوانات، وأمّا الزمان فيشير إليه قوله: (فما ذرّ قرن الشمس حتّى رأيتها) أي:
في أول النّهار، فربما بدأت رحلة الصيد في أوّل النّهار، واستغرقت النّهار كلّه، حيث قال: (فظلَّ لنا يوم)، وقال في الشطر
الآخر من البيت: (وظلَّ لها يوم)، واليوم واحد، والفعل (ظلّ): يدلّ على النّهار الذي يكون فيه الظّلّ، وكلمة (يوم) في
اللغة تُطلَق على النّهار الذي يقابل الليل، فعناصر القصة ثَمَّ موجودة، فهي قصة متكاملة، فيها: الأحداث، والشخصيات
والزمان، والمكان، وفيها ما تتطلبّه القصة من حبكة.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة في دراسة القصة الشعرية عند ابن الرومي، تبيّن أنّ الشعر القصصي جمع فيه الشاعر بين فنين،
وجنسين هما الشعر والقصة، واتخذ ابن الرومي منهما أسلوبًا فنيًا، صوّر به واقع حياته، ونجح في توظيفه للكشف عن
طاقته الإبداعية، ومقدرته الفنية؛ لبلوغ الغاية التي وضعها نصب عينيه منذ البداية، واستطاع أن يعبّر عن رغباته ومشاعره
وأفكاره، وأن يؤثّر في المتلقي، مع الإمتاع والتشويق؛ ليكون أبلغ أثرًا وأبقى.

ومن النتائج التي توصّل إليها البحث:

-في إحدى قصائده في الطَّرَد بدأ بمقدمة في الشيب، يبكي فيها الشباب، وذلك في عشرة أبيات، ثم شرع في قصّته، وكأنَّ الشباب يذكره ببطولاته ومغامراته التي خاضها، أو أنه لم يفعلها على وجه الحقيقة، وإنما كان يحلم بها وهو يقظان، أي أنها كانت أحلام يقظة، فذكرها كأنها حقيقة، ويكون قد فرّ من الواقع الذي يعيشه إلى عالمه الخيالي عامدًا؛ لأنه فشل في تحقيق تلك الأحلام على أرض الواقع؛ لاضطراب ومرض، أو لعجز ونقص، ويُعدّ ذلك متنفّسًا لتخفيف الضغط
النفسي.

-ختم ابن الرومي موضوعاته بالحديث عن مغامراته في الصّيد، وكان صيده برّا وبحرًا، حيث كانت له مغامرات مع

الشّبّوط، وهو نوع من السمك، وبرًا حكى قصة صيد ديك وأسره وذبحه وطبخه وأكله، وعاقبة الأَكَلَة، كما تحدّث عن

صيد الطّير المهاجر، ولم يفته الحديث عن ثيران وحش تشبه المها، لكن قرونها كالحراب وكم لذلك من المخاطر! لقد جال

بنا ابن الرومي في موضوعات شتّى، وعالجها بطريقة فنّية تجمع بين الشّعر والقصّة، بأسلوب يدلّ على الإبداع والابتكار.

- لم يقتصر ابن الرّومي في الحديث عن أبطال قصص صيده على الإنسان، بل ذكر كائنات حيّة أخرى مثل: نوع من السمك، وهو سمك الشّبّوط، والطير المهاجر، وثيران الوحش، وقصة الديك المؤذن الذي وثبت عليه تلك العصابة، وقد

تمكّن ابن الرومي من نسج قصة الدّيك في شكل درامي، حيث صوّر العصابة في هجومها عليه، وفوزهم به، كأنّما هزموا

كتائب ناعط، ثم يضع الشاعر، ويقرر قاعدة تدور حول عقوبة الظالم، ومَن غمط النعمة عقوبته تقف له بالمرصاد، ومن ظَلَمَ حلّ ظلمُه على رأسه، ومن الجرائم ما يكون عقابه معجَّلًا كالظّلم، وكم مجرم أسقطه إجرامه سريعًا، لقد باتت عظام

الديك وعروقه ودماؤه لعنة تسلَّطت على مَن ظلمه، تطارده أينما حلّ أو رحل.

-أضفى ابن الرومي على الموضوعات التقليدية المأثورة من قلقه وقنوطه وريبته ما جعلها تجنح بعيدًا عن طبيعتها، كأنَّها

نسيج وحده، وصورة مستقلّة بذاتها، إن لم تكن مبتكرة في أصلها إلا أنّه استطاع أن يلبسها ثوبًا جديدًا مدللًا بذلك على عبقرية فذّة، وموهبة فريدة من نوعها.

فمشهد الصيد تحول لدى الشاعر إلى مشهد الصراع الأبدي الدائم بين قطبي الحياة والموت، مع هزيمة الحياة وانتصار الموت، فهو يصدر حكمًا، ويظل يوسّع دائرته، ويعمّمها حتى تضم جميع الأحياء، وتشمل كل الكائنات الحية، فتصدق

على كل الأفراد، وتضحى قانونًا كونيًا، يتحاكم إليه الأحياء، فهي تجربة إنسانية عامّة، حدودها الحياة بكل ما تحمله

من معانٍ، وما تحتويه من مواقف وتجارب.

-نجح ابن الرومي في توظيف ما يسميه علماء النفس "ميكانزم الإسقاط"، حيث ذكر قصة الطير الذي أزمع رحلة؛

سعيًا وراء رزقه، ولم يعلم ما يكنّه القدر، ويخفيه من الخطر، فكان سعيه للحياة هو عين دنوّه من الموت، فقد أسقط ذلك

على الإنسان الذي يجهل -بعلمه القاصر- ما كُتب في اللوح المحفوظ، وفُرِغ منه، فأخذ يبني قصورًا من الآمال فوق الهواء

ولم يعلم أن القدر له بالمرصاد، وليس مقصود الشاعر أن يقنط الإنسان من الحياة، ويفقد الأمل، فيقعد عن العمل، وإنما

المراد أن يستعد لمثل هذه اللحظة، ويحسب حسابها، ويأخذ بأسباب النجاة ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

- طوّع الشاعر الصوت واللون والحركة في قصّته هذي؛ ليخدم فكرته، وقد اعتمد على الوصف أحيانًا في لغته الشعرية السردية، حيث توقف زمن الحكاية كما في أبياته التي بدأها بالحديث عن شمس الأصيل.

-كثيرًا ما اعتمد الشاعر على المفارقة في الكشف عن أبعاد مغامراته في رحلات صيده هذه، تأمل مفارقة اصطياده

للطير المهاجر في كونهم ألّفوا منها بين أنواع وأحجام وأشكال شتى في الوقت الذي فرّقوا وشتتوا بالصَّيد من أُلافها ما

تجمّع، وكثير منها كان راحلًا إلى مكان ربّما كان بعيدًا، لكنهم بالصيد قصروا نواه، وقربوا مكان نزوله، وكم قادم منهنّ

مرتاد منزل أجبروه على النزول.

هوامش البحث

(١) د.محمد النويهي: ثقافة الناقد الأدبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٩م، ص٢،٣.

(٢) هناك فرق بين مصطلحي القصص الشعري، والشعر القصصي، أما الأول: فهو عبارة عن عمل قصصي، يوظّف فيه الراوي الشّعر.

وأما الآخر: فهو فن الشّعر الذي يوظّف فيه الشّاعر القصّة. (مكالمة هاتفية مع الدكتور: عبد الرحيم الكردي "رحمه الله").

(٣) د.أحمد درويش: متعة تذوّق الشعر: دراسات في النص الشعري وقضاياه، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٣.

(٤) الباحث: عصام لطفي وهبان، إشراف: د. صالح حسن اليظي، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

(٥) الباحث: أشرف عبد الرحمن محمد سيد، إشراف: د.محمد حسن عبد الله، رسالة دكتوراه، جامعة الفيوم، دار العلوم،٢٠١١م.

(٦) الباحث: علي إدريس عوض ميلود بالقاسم، إشراف: د.ناهد الشعراوي، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية،٢٠١١م.

(٧) الديوان: (١/٤٤٩،٤٥٠).

(٨) الديوان: (١/٤٥٠).

(٩) الديوان: (١/٤٥٠).

(١٠) الديوان: (٢/٣١٥).

(١١) الديوان: (٢/٣١٥، ٣١٦).

(١٢) الديوان: (٢/٣١٦).

(١٣) الديوان: (٢/٣١٦).

(١٤) الديوان: (٢/٣١٦).

(١٥) الديوان: (٢/٣١٦).

(١٦) الديوان: (٢/٣١٦، ٣١٧).

(١٧) الديوان: (٢/٣١٧).

(١٨) الديوان: (٢/٣١٧).

(١٩) الديوان: (٢/٣١٧).

(٢٠) الديوان: (٢/٣١٧).

(٢١) الديوان: (٢/٣١٧).

(٢٢) الديوان: (٢/٣١٨).

(٢٣) الديوان: (٢/٣١٨).

(٢٤) الديوان: (٢/٣٣٧، ٣٣٨).

(٢٥) الديوان: (٢/ ٣٣٨).

(٢٦) إيليا سليم الحاوي: ابن الرومي: فنه ونفسيته من خلال شعره، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٠، ص٥٨.

(٢٧) الديوان: (٢/٣٣٨، ٣٣٩).

(٢٨) الديوان: (٢/ ٣٣٩).

(٢٩) الديوان: (٢/ ٣٣٩).

(٣٠) الديوان: (٢/ ٣٣٩).

(٣١) الصواب: "طرائح من سود وبيض" الديوان: تحقيق: حسين نصار، (٤/ ١٤٧٧). وهو ما يتفق والوزن العروضي.

(٣٢) ابن الرومي: فنه ونفسيته من خلال شعره، ص٥٤.

(٣٣) السابق، ص٥٥.

(٣٤) الديوان: (٣/ ٢٠٩).

(٣٥) ابن الرومي: فنه ونفسيته من خلال شعره، ص٥٧.

(٣٦) الديوان: (٣/ ٢٠٩).

(٣٧) الديوان: (٣/ ٢١٠).

(٣٨) الديوان: (٣/ ٢١٠).

(٣٩) الديوان: (٣/ ٢١٠).

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر

(١) أبو الحسن على بن العبّاس بن جريج: ديوان ابن الرومي، شرح الأستاذ. أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية،

بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٢) أبو الحسن على بن العبّاس بن جريج: ديوان ابن الرّومي، تحقيق: د. حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق

القومية، القاهرة، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

ثانيًا: المراجع

(٣) د.أحمد درويش: متعة تذوّق الشعر: دراسات في النص الشعري وقضاياه، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،

القاهرة، ١٩٩٧م، ص٣.

(٤) الباحث: أشرف عبد الرحمن محمد سيد، إشراف: د.محمد حسن عبد الله، رسالة دكتوراه، جامعة الفيوم، دار العلوم،٢٠١١م.

(٥) إيليا سليم الحاوي: ابن الرومي: فنه ونفسيته من خلال شعره، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،

ط٢، ١٩٨٠.

(٦) الباحث: عصام لطفي وهبان، إشراف: د. صالح حسن اليظي، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

(٧) الباحث: علي إدريس عوض ميلود بالقاسم، إشراف: د.ناهد الشعراوي، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية،٢٠١١م.

(٨) د.محمد النويهي: ثقافة الناقد الأدبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٩م، ص٢،٣.